مولانا الشيخ محمد عادل الربانى

فضائل قول "لا أعلم"

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته. أعوذ بالله من الشيطان الرجيم. بسم الله الرحمن الرحيم. الصلاة والسلام على رسولنا محمد سيد الأولين والآخرين. مدد يا رسول الله، مدد يا ساداتي أصحاب رسول الله، مدد يا مشايخنا، دستور مولانا الشيخ عبد الله الفائز الداغستاني، شيخ محمد ناظم الحقاني، مدد. طريقتنا الصحبة والخير في الجمعية.

نبينا الكريم صلى الله عليه وسلم يقول "في آخر الزمان، يقلّ العلم الحقيقي، ويكثر المتظاهرون بالعلم". ما معنى هذا؟ معناه أن يكثر من يظنون أنفسهم ذوي شأن، فينشرون العلم الخاطئ والمعلومات المغلوطة، ويضلون الناس. هؤلاء الذين يدّعون العلم – "العلماء السوء" - يتحملون عبئًا ثقيلًا. هم كثر، يُفتون حسب أهوائهم، ويتكلمون وفقًا لرغباتهم ومصالحهم الشخصية. آخر الزمان - وهو العصر الذي نعيش فيه الآن - هو على هذا النحو تمامًا. كل واحد منهم يقول ما يخطر بباله، بل ويصدقه: "أنا أقول الحقيقة، انظروا، الناس يستشيرونني، يسألون: ماذا نفعل؟ كيف نتصرف؟". وبذلك، يتحملون مسؤولية جسيمة، فإذا عمل الناس بما يقولون، تقع عليهم المسؤولية كاملة.

.

لذلك، حتى أعظم العلماء يقولون "لا أعلم". فيما يتعلق بالمسائل التي يجهلونها، يقولون ببساطة "لا أعلم". سُئل الإمام مالك، مؤسس المذهب المالكي، ذات مرة "ما قولك في هذا؟" فأجاب "لا أعلم". ويُقال إنه من بين خمسين سؤالاً وُجهت إليه، أجاب بـ"لا أعلم" على خمسة وثلاثين منها. سأله السائل في دهشة "كيف لا تعلم؟" فأجاب "لا أريد أن أُثقل على أحد؛ أقول "لا أعلم" عندما لا أعلم". إن قول "لا أعلم" في الحقيقة فضل عظيم وفضيلة. فالشخص الذي، رغم جهله، يتبع نفسه ويجيب - خوفًا من أن يظنه الآخرون جاهلاً - يتحمل عبئًا.

.

لذلك، إذا كان هناك أمرٌ لا تفهمه، فعليك البحث فيه والسؤال عنه. فكثيرٌ من الناس يُصدرون الفتاوى - أو حتى يختلقونها - في كل موضوعٍ يُمكن تصوره. عبءُ ذلك عظيمٌ. هناك أقوالٌ غريبةٌ وفتاوى مختلقةٌ وأجوبةٌ متداولةٌ - تتحدى كل منطق - بحيثُ سيستغرقُ حصرُها حتى حلول الليل. لذلك، يجب على المرء أن يكون شديد الحذر؛ فلا تُحمّل نفسك مثل هذا العبء الثقيل. أي نوعٍ من العبء هذا؟ لو وُضع عليك مئة كيلوغرامٍ لسحقتك؛ ولو وُضع عليك خمسمئةٌ لأهلكتك تمامًا - ولكن هذا العبء أثقل بكثير! قد لا تراه بعينيك، ولكن ثقله ساحقٌ لدرجة أنك ستشعر بندمٍ شديدٍ في الآخرة. إذا سألك أحدٌ سؤالًا في الدنيا، فقل "هناك مفتيٌّ - فاسأله؛ وهناك علماءُ دينٍ - فاستشرهم". لا تُغامر في أمورٍ لا تفهمها فتُحمّل نفسك بذلك عبئًا. سواء تعلق الأمر بالميراث، أو شؤون الأسرة، أو المعاملات المالية... فلا تتدخل في أمور لا تفهمها تمامًا؛ قل ببساطة "لا أعلم". بقولك "لا أعلم"، تُعفي نفسك من هذا العبء. لا تتكلم إلا إذا كنت تملك العلم حقًا - وكان هناك من يستفيد منه. وإلا، إذا تكلمت لمجرد إرضاء نفسك - خوفًا من نظرة الآخرين إليك - فأنت مخطئ؛ بل إن الإمام مالك رضي الله عنه قد سُئل ذات مرة: "مع كل علمك الواسع، كيف تقول إنك لا تعلم؟ أنت تتظاهر بأنك عالم!" فأجاب "لا أستطيع تحمل هذا العبء". ومع ذلك، فإن الناس اليوم غالبًا ما يكونون حشدًا من الجهلة. وبينما يحاولون هداية الناس تحت ستار العلم، فإنهم يضلون أنفسهم والناس. حفظنا الله ﷻ. الله ﷻ يحمينا جميعًا من هؤلاء ومن الذين يتبعون نفوسهم. ومن الله التوفيق. الفاتحة.

مولانا الشيخ محمد عادل الحقاني
5 أيلول 2026/ 23 ربيع الأول 1448
صلاة الفجر – زاوية أكبابا، اسطنبول